



الإنتاج المعرفي الفلسطيني لمواجهة صفقة القرن والضم والتأثير في الرأي العام العالمي

نايف جراره

رئيس جامعة الاستقلال سابقاً، ومدير معهد فلسطين
للأمن القومي حالياً.

تستهدف ورقتي هذه إلقاء الضوء على أهمية الإنتاج المعرفي الفلسطيني القادر على مواجهة صفقة القرن والضم والتأثير في الرأي العام العالمي لصالح الحق الفلسطيني.

وهي تتناول المحاور التالية:

1. مفهوم الإنتاج المعرفي وخصائصه.
2. واقع الإنتاج المعرفي فلسطينياً ومسؤولية الأطراف ذوي العلاقة.
3. صفقة القرن والضم معرفياً وما تستدعيه من إنتاج معرفي فلسطيني.
4. جودة وفاعلية الإنتاج المعرفي الفلسطيني: صناعة الإنتاج المعرفي والمحتوى المعرفي.
5. طرق وأساليب استخدام الإنتاج المعرفي للتأثير في الرأي العام العالمي لصالح الحق الفلسطيني

أولاً. مفهوم الإنتاج المعرفي

مع الأخذ بعين الاعتبار متطلبات فهم واستيعاب المواقف والنزعات الأبستمولوجية

(المعرفية) والأنطولوجية (الوجودية)، وعلاقتها بعلم القيم والمنطق وبالنظرية وبمناهج وطرق البحث العلمي الكمي والكيفي. وهو الأمر الذي لن أركز عليه هنا لأنه يحتاج لنقاش في سياق آخر ووقت طويل، سيجري التركيز على إنتاج المعرفة كعملية خلق وتطوير محتوى، أي من زاوية صلة إنتاج المعرفة بالإعلام والمعلوماتية. فعندما نتصدى لمعالجة مشكلة ما، لا بد من إنتاج معرفة عنها، ورؤيتها بتعيينها وعلاقتها وارتباطها بالواقع المعاش المتأثر بالواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، ويتم إنتاج المعرفة هذه بأشكال مختلفة مكتوبة أو مسموعة أو مرئية أو أي شكل آخر يخضع للتغيير التقني في المستقبل.

والهدف من عملية إنتاج المعرفة هو تشكيل وإعادة تشكيل وتغيير الوعي بالموضوع المطروح للاشتباك معه توثيقاً ونقاشاً وتحليلاً وتنظيراً، وبالتالي خلق جدل يهدف إلى التغيير المنشود، وصولاً إلى تحقيق هذا التغيير. أي الهدف نشر المعرفة وتكوين الوعي والتأثير في السلوك وإحداث عملية التغيير المطلوب.

وللمعرفة أبعاد عديدة، ومنها البعد السياسي، وكل معرفة تؤدي وظيفة اجتماعية وسياسية يحددها السياق الاجتماعي - التاريخي الذي تنتج فيه. والمسألة الأخيرة باعتقادي هي على غاية كبيرة من الأهمية، لأنها تحدد إمكانية المعرفة ومصداقيتها وموضوعيتها وملموستها وأهدافها ومشروعيتها والوظيفة الخاصة لها. فالإنتاج المعرفي في دولة مستقلة ذات سيادة تختلف عن دولة تابعة وعن وضع تحت الاستعمار أو الاستعمار الاستيطاني. وبالتالي علينا أن نتنبه للسياق التاريخي الملموس للإنتاج المعرفي.

شيء آخر هنا، إن الإنتاج المعرفي يختلف تاريخياً أيضاً، فالיום تتسع مساحة الإنتاج المعرفي، ويجري هذا الإنتاج في فضاء رحب ويمتاز بالتسارع العلمي والاستكشاف، ونحن نشهد اليوم ثورة معرفية تجاوزت تفاصيلها وأبعادها ما كنا نعتقده مستحيلًا قبل بضع سنوات. إننا نشهد انفجاراً معرفياً بكل معنى الكلمة، تجري في ظلّه مضاعفة وتغيير المعرفة خلال بضع سنوات، الأمر الذي يشكل تحدياً كبيراً أمام المؤسسات والأفراد الذين ينتجون المعرفة.

ثانياً. واقع الإنتاج المعرفي فلسطينياً ومسؤولية الأطراف ذوي العلاقة

الإنتاج المعرفي الفلسطيني متعين في سياقه وبيئته، أي في الصراع الدائر منذ أكثر من مئة عام على الأرض الفلسطينية مع الاستعمار القديم الكلاسيكي الأوروبي وما نتج عنه



لاحقًا من استعمار جديد، ومع الاستعمار الاستيطاني الإحلالي الصهيوني. وقد انخرط الإنتاج المعرفي الفلسطيني منذ البدايات في الصراع، سواء كانطباعات عبر احتكاك المواطن الفلسطيني بالغازي والمستوطن الغريب، أو لاحقًا كمعرفة موضوعية عبّر عنها إعلاميًا أو كتابيًا وبحثيًا كما في كتابات نجيب نصار وفي كتابات روجي الخالدي الذي كتب تصورًا أوليًا عن طبيعة الصهيونية. ولا أريد أن أطيل في التاريخ، يكفي الإشارة إلى أن اهتمامًا جديدًا بالإنتاج المعرفي ظهر حديثًا من قبل القوميين العرب كقسطنطين زريق عن النكبة، ولاحقًا من قبل منظمة التحرير الفلسطينية التي أنشأت مركز الأبحاث منذ عام 1966، والذي شكل تطورًا نوعيًا في إنتاج المعرفة عن فلسطين وعن العدو الصهيوني.

هنا أتوقف لأذكر بما كتبه - قبل أكثر من ألفي عام - الحكيم الصيني صن تزو ومقولته «اعرف عدوك»، والتي أوضح فيها «إن المعرفة فيصل ما بين النصر والهزيمة». وأضاف: «إذا استخدمت المعرفة بشكل إستراتيجي فيمكن حسم الصراع دون معارك حربية. ولكن مع معرفة العدو»... وأضاف صن تزو معرفة الذات. أي إن إنتاج المعرفة هنا ليس شرطًا للنصر فقط، بل وأداة للصراع، أي إنها معرفة إستراتيجية لها دور ووظيفة، يعتمدان على دقتها وصحتها. وهو ما يتطلب الجمع بين الوظيفة النضالية للمعرفة وصرامة المنهج العلمي في مستوياتها كافة: الكلية والجزئية والمعلوماتية.

كما وأذكر أنه بعد النكسة عام 1967 طالب طلاب جامعة القاهرة بتدريسهم عن إسرائيل، التي مطلوب منهم الذهاب لمحاربتها، وهكذا نشأ في مصر مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية التابع لمؤسسة الأهرام، والذي تطور لاحقًا إلى مركز الأهرام للدراسات السياسية الإستراتيجية.

لدينا الآن جهات عديدة تعنى بالإنتاج المعرفي، جامعات ومراكز أبحاث ودراسات ومراكز إعلام ومنصات الإنتاج المعرفي والإعلامي، وهي كثيرة يصل عددها إلى ما يقارب حوالي خمسين مؤسسة، منها ما يجري تضمين تقييمه في التصنيفات العالمية وعددها 34 مؤسسة. لكن وللأسف واقع الإنتاج المعرفي الفلسطيني لا زال ضعيفًا، لا جودة له وغير متميز، ولا مكان يكاد يذكر لمؤسساته على سلم التصنيفات العالمية.

ولو سألنا عن مدى انعكاس الإنتاج المعرفي الفلسطيني على صنع القرار السياسي

وإدارة الصراع مع الاحتلال وعلى التنمية وغيرها من أمور حياتنا، لوجدنا كم هو الواقع مرير، ولا يقارن بما عليه الإنتاج المعرفي لدى دولة الاحتلال، حيث تلعب مراكز ومعاهد البحث والدراسات دوراً مهماً في صنع السياسة وفي تعزيزها والترويج لها، وهي على كل حال مصنفة دولياً في مراكز متقدمة تفوق مكانة كل مراكز ومعاهد البحث العربية. من المسؤول: كلنا مسؤولون... سلطة ومعارضة، ومجتمعاً مدنياً وأفراداً.

ثالثاً. صفقة القرن والضم معرفياً وما تستدعيه من إنتاج معرفي فلسطيني

- صفقة القرن كرواية جديدة للصراع.
- صفقة القرن كخلاصة لدراسات معمقة... عن إسرائيل... قانون أساس القومية، حق تقرير المصير والاستيطان، وأمن وحدود إسرائيل ودورها ومكانتها وعلاقتها الإقليمية... وعن الواقع الفلسطيني بتفاصيله.
- صفقة القرن كمحاولة لحسم وجود وانتصار المشروع الاستعماري الاستيطاني الإحلالي.
- صفقة القرن والحق الفلسطيني والمشروع الوطني الفلسطيني.
- صفقة القرن والمنطقة وخاصة الأردن والدول المحيطة وكذلك العالم.

ما المطلوب فلسطينياً من إنتاج معرفي؟

الصفقة والضم أعادانا إلى أصل الصراع، وعليه فالإنتاج المعرفي الفلسطيني عليه أن يعود إلى هذا الأصل.

رابعاً. جودة وفعالية الإنتاج المعرفي الفلسطيني: صناعة الإنتاج المعرفي والمحتوك المعرفي

- الانسجام مع شروط إنتاج المعرفة في السياق الكولونيالي الاستيطاني والخطاب المعبر عنه: إنتاج معرفة تحررية في السياق الاستعماري الاستيطاني الصهيوني: أن يجري تجاوز الحديث عن التعامل مع الحالة الفلسطينية كحالة دولة ما بعد الصراع نحو حالة تحرر وطني دون نكران بناء المؤسسات الوطنية بصفته فعلاً تحررياً يستهدف تجسيد الاستقلال والسيادة في إطار التقاء عنصر الأرض والشعب والسلطة والإطار الواسع لممارسة حق تقرير المصير.



أي توجيه هدف الإنتاج المعرفي لتفكيك الاستعمار والاستعمار الاستيطاني والمساهمة في تشكيل ملامح المستقبل الفلسطيني.

• كسر العلاقة الاستعمارية حول السردية التاريخية والرواية وأدلة الصراع دينياً، وكذلك حول مسألة الأرض وإنتاج المعرفة الجغرافية والبيئية والتعريف بالاستعمار الاستيطاني وخصوصيته في فلسطين، وإنتاج معرفي يساهم في النضال ضد الاحتلال... إنتاج معرفي موجه للتغيير والعودة لحالة الاشتباك.

• الهوية والرواية.

• إعادة بناء المشروع الوطني ومساعدة صاحب القرار وترشيد سياساته عبر اقتراح سياسات ووضع إستراتيجيات وبدائل، وطرح حلول للتحديات وكيفية مواجهة المخاطر، وخاصة الوجودية منها التي تمثلها صفقة القرن والضم.

• وحدة الموقف والتنبه لمحاولات خلق البدائل وإشاعة الفوضى والإشاعات وشيطة الفلسطينيين والمؤسسة وغيرها.

• الاهتمام بالتفاف الجماهير حول كيانيتهم الوطنية، حول م.ت.ف.

• إعادة النظر بمنهج التعليم والجامعات لتأخذ ما سبق بعين الاعتبار، ومدى استجابتها للاحتياجات الوطنية والتنمية وتعزيز الصمود والمقاومة.

• الاهتمام بجودة ونوعية المعرفة وشموليتها.

• الاهتمام بصناعة المعرفة والمحتوى المعرفي بمضمونه، الذي يجب أن يشمل البيانات والمعلومات والاتجاهات وبكل أبعاده، من الاقتصادي والسياسي والاجتماعي وصولاً للثقافي والفني الإبداعي والأمني.

• التضافر والتكامل والوحدة... الضفة بما فيها القدس وغزة وال48 والشتات... إمكانيات متوفرة في متناول اليد ومنها الكثير الكامن المطلوب تفعيله.

• التأسيس للمحتوى المعرفي والكفاح الوطني بقيم الحضارة البشرية وحقوق وحرية الإنسان، وبالتالي استثمار مبادئ وأحكام القانون الدولي، والقانون الدولي الإنساني، والقانون الدولي لحقوق الإنسان، والقانون الدولي العرفي، وكل المواثيق والقرارات الدولية وقيم الحرية والديمقراطية والعدالة... ومناهضة الفصل العنصري والتمييز... وهي

فرصة اليوم مع ما كشفته أحداث أميركا الأخيرة من وجود تمييز عنصري وممارسات تماثل الممارسات الإسرائيلية، وبالتالي ربط الكفاح الفلسطيني مع هذا الكفاح والذهاب نحو الدفع باتجاه ملاحقة دولة الاحتلال ومجرمي الحرب وممارسات التطهير العرقي والفصل العنصري كجرائم، وصولاً لخلق حركة واسعة على غرار حركة مقاطعة نظام الفصل العنصري في جنوب إفريقيا.

• الأخذ بعين الاعتبار اتجاهات التطورات الجيوسياسية الدولية والتحويلات الجارية، وبالتالي رؤية التحالفات الجديدة في مواجهة الولايات المتحدة الأميركية وحليفها إسرائيل.

خامساً. طرق وأساليب استخدام الإنتاج المعرفي للتأثير في الرأي العام العالمي لصالح الحق الفلسطيني

- أهمية الرأي العام العالمي بما فيه الإسرائيلي.
- أشكال واسعة تتيحها التقنية الحديثة ووسائل الاتصال والتواصل الاجتماعي... الصورة والفيديو وغيرها.
- من المستهدف ولمن يجب أن توجه.
- التسويق... كسلعة ذات جودة وانسجام مع احتياجات ذوي العلاقة وملتقي المعرفة... وطريقة الإيصال والميزة التنافسية... مع التنبه إلى أن التسليح للإنتاج المعرفي الفلسطيني الجديد يجب أن يتجاوز الوقوع في حبال أجنحة الممولين... وهذا يحتاج للاعتماد على الذات بتضافر كل الجهود والإمكانات وما أكثرها في الوطن والشتات..
- عوامل النجاح: الجهات الفاعلة، محتويات الخطاب، القواعد والموارد.
- اللغة/ بكل اللغات الحية بما فيها العبرية.
- الشخصوص.
- الشتات كفرصة.
- تبقى مهمة: العلاقة مع الرسمي والشعبي.
- المنهجية والطابع الإستراتيجي والدائم بعيداً عن الهبات والمناسبات... أي خطة طويلة الأمد.